بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بعنوان: الأسماء طريقًا للمعرفة

ألقاها: سماحة الدكتور عبد الحميد عشاق حفظه الله

يقول الله عز وجل تقدّست أسماؤه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ۝٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[2].

كل قارئ لهذه الآيات البينات البليغات، ينبغي أن يسأل نفسه هل أعرف الله تبارك وتعالى على النحو الذي طلب إلي أن أعرفه به؟ هل وعيت هذا الأمر التكليفي العظيم الذي هو أول عزائم الدين، وأجلّ واجباته وفرائضه؟ كما قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: «**أول واجب النظر معرفة الله تعالى**».

قال النبي ﷺ: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الاستغفار**»[3]. قال المحققون من علمائنا رحمهم الله: «**ينبغي لأهل لا إله إلا الله حتى يكونوا من أهل لا إله إلا الله حقا: التصديق، والتعظيم، والحلاوة، والحرية**، فمن ليس له التصديق فهو منافق، ومن ليس له التعظيم (أي: متابعة أمره) فهو مبتدع، ومن ليس له حلاوة التوحيد فهو مراء، ومن ليس له الحرية يعني -الحرية من نزوات

---

(1) طه: 8-14.

(2) طه: 37-39.

(3) سنن الترمذي: الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ح3383.

نفسه وشهوات حسه- فهو فاجر»[4].

وكمال التوحيد هو الحرية كما قال ذو النون المصري: «**ألا تملك شيئا، وألا يملكك شيء**»[5]؛ بمعنى ألا ترى نفسك مالكاً لشيء... وهذه هي الحقيقة الساطعة التي لا مراء فيها، وإن ألقى الإنسان معاذيره هروبا وتغافلا عنها ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[6]. ولذلك يعزّي بعضنا بعضا عند مصيبة الموت بقوله: «**إنا لله**» بمعنى: نحن ملك لله تعالى، لا نملك حياتنا، ولا آجالنا، ولا آباءنا، ولا أولادنا، ولامصيرنا... لا نملك شيئا على الحقيقة، وإنما نحن مستخلَفون في هذه الدار إلى حين.

وفي سياق بيان هذه الحقيقة الكبرى، اختار بعض العلماء في تفسير كثير من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[7]، أنها لا إله إلا الله، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[8]، هو لا إله إلا الله، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾[9]، هي لا إله إلا الله، وأنهم مسؤولون عنها... ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[10]، القول الثابت هو لا إله إلا الله. وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[11]، هم أصحاب لا إله إلا الله.

ويُروى عن موسى عليه السلام أنه قال: «يا رب علمني شيئا أذكرك به، قال: قل لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون لا إله إلا الله، فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: يا رب إنما أردت شيئا تخصني به، فقال رب العزة: يا موسى لو أن

---

(4) تفسير السلمي: (75/1).

(5) الرسالة القشيرية: (441/2) عن سمنون.

(6) الأنعام: 94.

(7) إبراهيم: 24.

(8) فاطر: 10.

(9) سبأ: 46.

(10) إبراهيم: 27.

(11) ص: 82-83.

السموات السبع ومن فيهن في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهن لا إله إلا الله»[12].

واعلم أن الأمور التي ينتسب إليها الناس قسمان: قسم معرض للزوال؛ وقسم ثابت لا يتعرض لزوال.

فأما الأول فلا فائدة فيه ولا طائل من ورائه، كالمال والجمال والصحة والحسب، وأما الذي لا يتعرض للزوال فانتسابك إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، فهذه النسبة لا تقبل الزوال لأن المنتسب إليه وهو الله جل جلاله لا يفنى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[13]، فلأَن يعتز المرء بهذا الانتساب، ويشتغل بذكر الله تعالى وكمال صفاته خير له، ولذلك قال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[14]، وقال النبي ﷺ: «**إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»[15]، وفي رواية: «من حفظها»[16]، والحفظ والإحصاء هنا بمعنى فهم معانيها، وإدراك مدلولاتها وخصوصياتها بالنسبة إلى الباري جلّ وعلا. فمن أعظم موارد معرفة الله تعالى معرفة كمالات أسمائه وصفاته.

والمعنى الثاني للإحصاء والحفظ هو: التوسل والدعاء بها على أساس تلك المعرفة والشهود والفهم، وليس حسن الأسماء لأنها ألفاظ وأصوات بل لحسن معانيها، ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال، وهي محصورة في كلّيين جامعين: **عدم افتقاره إلى غيره وهو معنى** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[17]، **وافتقار غيره إليه وهو معنى** ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[18].

يروى أنّ حكيما ذهب إليه قبيح وحسن، والتمسا الوصية منه، فقال للحسن

(12) نوادر الأصول: (103/6/ح1359).
(13) الرحمن: 26-27.
(14) الأعراف: 180.
(15) صحيح البخاري (مع الفتح): (259/3) ح2736.
(16) صحيح مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ح2677.
(17) الإخلاص: 1.
(18) الإخلاص: 2.

منهما: «أنت حسَن الوجه، ولا يليق بك الفعل القبيح»، وقال للآخر: «القبيحُ إذا فعل القبيح ازداد قُبحه».

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَ مُوسَى عليه السلام: «يَا رَبِّ، أَيُّ خَلْقِكَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي لا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِي، قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ خَلْقِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَلْتَمِسُ إِلَى عِلْمِهِ عِلْمَ غَيْرِهِ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْدَلُ؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ كَمَا يَقْضِي عَلَى النَّاسِ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْظَمُ ذَنْبًا؟ قَالَ: الَّذِي يَتَّهِمُنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَهَلْ يَتَّهِمُكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: الَّذِي يَسْتَخِيرُنِي، ثُمَّ لا يَرْضَى بِقَضَائِي»[(19)].

ورأى بشر الحافي كاغداً مكتوبا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فرفعه وطيبه بالمسك فرأى في النوم قائلا يقول: «يا بشر، طيبت اسمنا، فنحن نطيب اسمك في الدنيا والآخرة»[(20)].

فعلى كل من رام معرفة الله تعالى معرفة متينة راسخة، أن يَعلم أن مِن أعظم مواردها، وأقرب الطرق الموصلة إليها؛ فقه الأسماء والتحقق من معانيها، وإدراك مدلولاتها وأسرارها، لا مجرد إحصائها حفظا واستظهارا.

---

(19) شعب الإيمان للبيهقي: (2/172/ح672).

(20) حلية الأولياء: (8/336).